

و(سانشو) كثيرة إلا أن النقطة الجوهرية التي تميز أحدهما من الآخر تتمثل في أن دون كيشوت كان مقتنعاً أن المهم في أي عمل أو فعل هو نيته الطيبة وليس نتيجته، فالأخطار أو الأذى التي كانت تصيبه ما كانت بالنسبة إليه ذات بال أو اعتبار لأن نيته كانت طيبة، فالأذى هنا مقبول ومحتمل ما دامت النية الطيبة هي التي أوصلت إليه، والعكس صحيح فهو ضد النتائج الإيجابية التي قطفها النية السيئة، فالنية السيئة وحدها كفيلة بعطب أهمية وقيمة كل النتائج التي يعدها الناس، أو المجتمع، نافعة أو إيجابية.

في كثير من المغامرات، وعند الوقوف على النتائج، كان سانشو يقف دائماً عند النتائج فإن كانت سيئة ومحبطة، وهي في الغالب الأعم كذلك، راح يندب حظّه والظروف التي قادتّه إلى العمل مع هذا الفارس الذي لا ينظر إلى الأمور نظرة واقعية متزنة، بينما كان دون كيشوت، ومن وسط الإنهاك والجروح والدماء، يتفاعل بالمستقبل، ويتثني على ما حدث ويباركه أيضاً، ويعزو الإخفاق إلى وجود أمر غيبي أفسد تطلعات النية الطيبة كالسحر على سبيل المثال، فقد رأى أن السحر وحده هو الذي أفسد عليه هزيمة الأتباع والعمالقة في مغامرته مع طواحين الهواء، وهو وحده الذي هيّج البغال الذي واعد خادمة الفندق على اللقاء ليلاً حالماً تنتهي من أشغال النزلاء وأعمال الفندق وطلبات سيدها، فرأى أن السحر جعله رجلاً هائل القوة والمقدرة فأفسد عليه لقاءه الغرامي مع سيدة القصر، وابنة الملك (هكذا تخيل الخادمة السمينة المعطوبة الأعضاء التي تفوح من ثيابها رائحة الطبخ، والفاقة لكل صفة من صفات الجمال الأنثوي) والسحر هو الذي أفسد عليه مغامرته مع السجناء اللصوص الذين أطلق سراحهم وحررهم من جنود الملك، وخطبته أمام تجار طليطلة الذين قابلوه بالسخرية والكلام المؤذي؛ هؤلاء الذين طالبوه بصورة صغيرة لعشيقته التي أكثر من الحديث عنها!! بقوله أخرى، كان سانشو يعيد أسباب الإخفاق إلى ضعف سيده وإمكاناته البدنية من جهة، وعدم قدرته على النظر إلى الأمور نظرة واقعية من جهة ثانية، أي أنه يعيد الإخفاق إلى أسباب مرئية مدركة، في حين كان دون كيشوت يعيد هذه الأسباب إلى قوى خفية غيبية أغلبها مستل من عالم السحر الذي يفسد النيات الطيبة وأفعال أصحابها في وقت واحد؛ فما يعتمد عليه دون كيشوت أساساً هو قوة النية الطيبة، بينما توجه سانشو الجوهري أو ما يريد الاعتماد عليه يتمثل في الوصول إلى النتائج الإيجابية من وراء المغامرات المراد القيام بها. والإهانة عند دون كيشوت لا تتأتى من الضرب والأذى